— قد تكون غير دقيقة — ولصقها ببعضها ، بدون منهج دراسي واضح ، وبدون رؤية فكرية متكاملة .

يكفي ان يشار مثلا الى الفترة التي ارتفع فيها في مصر شعار « كتاب كل ست ساعات » من مجموعة سلاسل وصفت بأنها « السلاسل العشر » كانت من مجموعها وفي اغلبها عنوانا بارزا على تفاهة كتب المناسبات في حياتنا . علما بان الكتاب — المناسبة يكاد يملك منهجه الخاص في البحث والدراسة ، حيث ينقسم هذا النوع من الكتب الى نوعين اساسيين : يقوم الاول بالاساس على عرض وتقديم الظروف والملابسات التي قادت الى « المناسبة » موضع الدراسة ، وكذلك الظروف والملابسات التي تكتنف وقوعها من ناحية ، وتطورها من ناحية اخرى ، هذا بينما يعتمد النوع الثاني من « الكتاب — المناسبة » على تقديم وجهة نظر معينة حول هذه المناسبة ، سواء كانت معارضة للاسلوب المتبع في علاجها او مؤيدة ، او داعية الى اتباع نهج محدد في علاج المناسبة ، والتعامل معها .

ولكن هذا التقسيم ليس نهائيا ، ففي اساليب البحث والدراسة لا توجد فواصل قاطعة بشكل نهائي ، وكلما تعددت طرق التحليل كان ذلك ادعى الى الاقتراب الموضوعي من الظاهرة التي تجري عليها الدراسة . ولذلك ، فان افضل ما يصدر من كتب المناسبات هو ذلك الذي يستطيع الجمع بين الاسلوبين المذكورين في العرض والتحليل ، بحيث تكون « الخلفية » اداة ووسيلة لدعم وجهة النظر التي يتبناها الكاتب ويدعو اليها ، ويدافع عنها بشكل واضح وصريح . وهذا هو المسلك الذي اختاره الاستاذ مصطفى كمال (رئيس القسم الخارجي في جريدة « الجمهورية » القاهرية) في كتابه « الطريق الى جنيف ومخططات الصهيونية » وان كان لم يوازن بين الجزء الخاص بالخلفية والجزء الخاص بالرأي ، اذ طغى الاول على الثاني . ولكن يبدو على الارجح ان ذلك تم بشكل مقصود ومتعمد ، املته ظروف صدور الكتاب ، وموضوعه « الشائك » في مصر حاليا . فقد لجأ الكاتب بشكل بارع وبطريقة ذكية الى ايراد الحقائق والوقائع بشكل موضوعي ، متسلسل ، بحيث خدمت بشكل غير مباشر وجهة النظر التي يريد قولها ، فاذا بها بارزة امام القارىء دون ان يتدخل المؤلف ليعلن صراحة وبشكل فج ومباشرة : هذا رأيي وما عداه خطأ . فذلك من الصعب المجاهرة به الان ، داخل مصر حيث تخفق رايات حرية الصحافة والنشر !

والظروف التي الجأت الكاتب الى هذا الاسلوب، ساعدته دون شك على اصدار كتاب صغير الحجم وعظيم الاهمية في نفس الوقت ، لانه يعبر عن وجهة نظر قطاع هام في مصر ازاء الموقف من الامريكان ، ومن السوفييت ، ومن التسويات المطروحة ، والتي يجري الترويج لها تحت شعار ودعوى ان كل اوراق القضية في يد الامريكان ، او ان الوفاق الدولي هو الذي يملي ذلك ويفرضه ، مع ان « التطورات الجديدة في المناخ الدولي ... تكون في صالح قضيتنا اذا ادركنا انه انفراج دولي لا يمنعنا من حرية النضال ضد الامبريالية ولا يحرمنا من تأييد الاتحاد السوفييتي ، ولا يقيد حركة الاتحاد السوفييتي — وسائر بلدان العالم الاشتراكي — في مساعدتنا بمختلف الاشكال » (ص ٩٢) .

ويمتلىء الكتاب بالكثير من الافكار الجريئة والموضوعية التي تناقض الخط السياسي والفكري والاعلامي السائد الان في مصر . ومن هنا تجب الاشادة بجرأة المؤلف وشجاعته . وحيث ان الاهمية السياسية لهذا الكتاب تفوق كثيرا كثيرا اهميته الفكرية او العلمية ، فليس ثمة ما يدعو الى الوقوف كثيرا حول الهنات والثغرات ونقاط الضعف . الأهم من ذلك ، والاجدر بالبحث بل والثناء هو ابراز « الخط العام » الذي يسير عليه المؤلف ، في الدعوة الى افكار تضاد تماما تلك الافكار التي اتيح لها ان ترفع رأسها مرة اخرى ومن جديد ، بعد ان غلب على الظن يوما انها ووريت التراب من سنين .

ان احدا لا يستطيع ان يناقش الان في وسائل الاعلام والدعاية المصرية — سواء المسموعة او المرئية او المقروءة — يناقش بشكل موضوعي وعلمي حقيقة موقف امريكا ، وحقيقة علاقتها باسرائيل والصهيونية ، واهدافها في الوطن العربي . وهنا، يخرج مصطفى كمال شاهرا سيفه اي كتابه ، وممزقا هذا الحجر ومؤكدا ان امريكا هي العدو الرئيسي . وهو لا يقول ذلك بخطابية ، او بلهجة عنترية ، ولكن يقوله بالوقائع والحقائق والارقام التي يستقيها من المصادر الامريكية نفسها ، ويقوله بالتصريحات والبيانات التي يعلنها المسؤولون